أسعد يوم

(١)

سألت عن مرشد طريق، فدلوني علي رجل يقيم بحي (الغياتية) ، عندما قابلته، طالعني وجهه بوضوح، وتبين لي أنه كفيف.. تمتمت مع نفسي وأنا أقلب بصري في هيئته :

- إنه يريد مرشداً..

وتركته .....

(٢)

يوم السوق في النهار، والحارة تموج بأهلها، زلت قدمي -بعد تفكير طويل- لزيارته.. تحسست الطريق.. جلست في ركن المقهى الذي يقع أمام داره .. كانت داره مهدمة، نُزعت منه الأبواب والنوافذ، ساقتني قدماي إليه.. دنا مني.. سمعت صوته لأول مرة يناديني باسمي دون سابق علم به :

* هيا يا أيمن أفندي.. فيومنا طويل..

تأبطت ذارعه.. وسرعان ما تآنسنا.. تخطينا طريق السوق القديم بعد(شارع القطب).. سألته بإشفاق :

* ما أسعد يوم في حياتك يا سيدنا ؟

أجابني بوجه صارم .

* أسعد يوم في حياتي.. عندما تمتلئ معدتي بما لذ وطاب، من خبزوثريد.. ومعتق الشراب.. يا بني آدم !!

ثم ضحك.. كان في السماء زرقة صافية تميل إلي البياض، عندما كنت أروح جيئة وذهاباً في حدود الفراغ الذي أقف في منتصفه فباغتته بسؤالي :

* لم هذا المنطق الجائع يا سيدنا ؟!

رد بأنفة وهو يجذب ذراعه من ذراعي:

* عندما تمتلئ معدتي.. ترتاح أقدامي من السير خلف لقمة العيش ويكون هذا أسعد يوم في حياتي.. آه !!

(أخذ نفساً عميقا).. ثم راح يبتعد مزمجراً، فسقط ظله علي صفحة الإسفلت فخر صريعاً وبصره معلق بالسماء.. كان فمه يغمغم :

* آن للزمن الجائع أن يتضور جوعاً !!

..... ثم مات .....

هكـــذا كل ليلـــة

هكذا كل ليلة، كنت أتأمل أعمدة شارعنا الطويل التي تحمل مصابيح تعمل بغاز الاستصباح، ظللت -أيضاً- أتأمل رموشها، أتحسس بيدٍ مرتعشة شفتيها الممتلئتين، فتشرق ابتسامة جميلة علي فمها، أقترب منها أكثر،أهمس في أذنها، فيصدرعنها ضحكة مكتومة، ليّنة، خطونا بعض الخطوات في ذات الشارع الهادئ، فصوبت حجراً صغيراً علي أحد المصابيح الراقد علي قمة أحد الأعمدة، فانكسر، وانتشر الظلام بسطوته يفعل فِعلته علي جزء من الشارع الضيق، فاختنق الجسد بالعطش، وتشكلت الخطوط حروفاً، تتحرك، في اللاوعي، تفسر نفسها، بعد أن اختمرت الصورة الوارفة، دائبة الحركة؛ لتصنع مخابئ دافئة لحنيني، مددت روحي في البراح الفسيح، وتعملق النبض يسابق الريح، تنبهت علي صوت نباحٍ عالٍ، فوقعت من فوق سريري الخشبي المتهالك ، ودخلت إلي دورة المياه، لأتخلص من بقايا الحلم..!!

عشـــق

بعد رحيل زوجها عن الدنيا، تفاجأت الزوجة بوصول وردة حمراء يومياً إلي بيتها، ومرفق بها بطاقة، جميلة، صغيرة، ولما تحيَّرت من الأمر- بعد عدة مرات- توجهت إلي محل الزهور المدوَّن عنوانه أسفل البطاقة؛ لتستفسر عن الأمر، فأجابها مدير المحل مبتسماً: «تمام يا سيدتي، فقد رصد المرحوم زوجك لنا مبلغاً من المال، ليس بالقليل..».. قاطعته الزوجة: «ولماذا...؟» أجابها صاحب المحل: «حتي نتمكن من إرسال زهرة يومياً إلي عنوانك، ومرفق بها بطاقة جميلة مدوَّن عليها عبارة.. أحبك حتي نهاية العالم..!!»..

أمـــــي

قالت أمّي عن أبّي -رحمه الله-: «كانت كُحته ونساً، ودفئاً، وحضناً.. »، فأدركت حقيقة ما تتصنعه في ليل الشتاء، تسعل بشدة، وترفض الدواء، لعلني أحسها، تتمنى عناقه بعد غيبة طويلة..!!

أصـــوات

أحسستُ بصوتِ المفاتيح في ثقب الباب يصلصل فرحاً، معلناً وصولي، وكأنه يزغرد محتفياً بي، ولكن وصولي -علي ما أعتقد- كان مزعجاً لزوجتي، فقد تضخم صوتها، وتناثرت حروفه في كل مكان من غرفتنا الضيقة؛ لأنني نسيت واحداً غير ذي قيمة من مجمل الطلبات التي دوّنتها لي علي كف يدي هذا الصباح!

شِجـــــار

اختلفوا في الرأي، فتراشقوا بالكلمات، فتخاصمت الحروف المتجاورة تباعاً، وغيرت محل إقامتها..!

لحظـــة فقـــد

كان في معظم الأوقات يقبض علي هاتفه الجوَّال، الـ « touch» ، يتصفح ذكرياته، صوره القديمة، وصور أولاده وأصدقائه، حله وترحاله، يسرح بذاكرته مع كل صورة أو مقطع فيديو، ويبتسم؛ لتذكره الأيام الخوالي التي كانت ،ترتسم بالطابع الجميل، وعندما فُقد منه هاتفه الجوَّال-علي غفلة منه- شعر بفقد ذاكرته..!!

وجـــــه

عندما نظرت في المرآة، تمعنت قليلاً في سحنة وجهي، حمدت الله علي عطاياه، وخرجت مسرعاً؛ لألحق بموعد مهم، لكنني خرجت بدون وجهي، فقد تشبثت به المرآة !!

رحلة

قرر أن يبحث عن حياة، فركب قاطرة الموت..!!

وجه آخر..

بين كل الوجوه التي تزحم ذاكرتي، مازلت أبحث عن وجهي، الذي لا أراه...!!..

أصداء لقاء صامت..

هكذا منذ طفولته البريئة كان يعشق الموسيقي.. يشارك في طابور الصباح.. ويعزف بعفو الخاطر.
حتى تدمع عيناه.. وبعد مرور سنوات طويلة ظلت الرياح القوية تعبث فيه تدخل من فمه.. تنزف أفراحاً وتخرج من عظام حوضه كشلال.. أعضاؤه تصفق في حبور .. (لقد مات في الفلاة ، ولم يدفن لمدة عامين !!) .

من أجل ساحبة وجع

في ذروة العُباب.. قررت -بمحض إرادتي- أن أرتشف زجاجة من معتق الشراب.. ثم أرحل في ظل القطارات وفي أثناء الخطو المتعثر.. وقفت فأخرجت لحبيبتي صورة ملونة كانت وسط أوراق النقود.. غطستُها في الكأس الفارغة في يدي.. هزني الضحك وسعلت بشدة.. عندما رأيت الثمل يهز أرداف الصورة ونهديها في آنٍ واحد !!.